قصة ميشا

”لقد صُدمت عندما عرفت أن ميشا مُصابٌ بفقدان سمع عميق في كلتا أذنيه. وبعد يومين لاحقاً، بعد أن أكثرت في البكاء، نظرت إلى إبني الريّان ذو العشر شهور، ذلك الملاك الفاتن المفعم بالصحة، وفكرت في أن هذا خبرٌ بالنسبة لي أنا فقط. لا شيء قد تغيَّر بالنسبة له.

وعقب تشخيص المرض مباشرةً، ذهبت لزيارة والداي في بيرث. بادرت أمي بالقول: *”حسناً، لقد علمنا أنه أصم، الآن يجب علينا أن نتعلم جيداً فيما يتعلق بأي مسارٍ سوف ينتهجه“*. بحثنا في كثيرٍ من المواقع الالكترونية على الانترنت وذهبنا إلى المكتبة بحثاً عن جميع الكتب التي تتناول الصمم التي يمكننا الاطلاع عليها.

دأحد أكثر الأشياء التي كانت تقلقني هو التطور اللغوي، لأنني قرأت أن الأطفال الصُم عموماً متأخرين في السمع بسنتين إلى ثلاث سنوات عن قرائنهم. وأردت أيضاً تفادي الوضع المحزن الذي توصلت إليه في بحثي، حيث أن الأطفال الذين يكبرون بدون تعلم لغة الاشارة في البيت يشعرون أنهم مُستبعدين في النقاشات العائلية لعدم قدرتهم على متابعة الحوار، وهناك أيضاً من يشعرون أنهم فقدوا الكثير من طفولتهم بقضاء أوقاتٍ كثيرة في جلسات علاج النطق منذ بداية صغرهم.

استعارت أمي كتاب *Seeing Voices* للمؤلف أوليفر ساكس Oliver Sacks من المكتبة المحلية، وقد لفت هذا الكتاب نظري إلى ما يدهش في عالم الصمم. فقد وجدت أنه من المفيد جداً من خلال لغة الاشارة، أن ميشا ستكون له لغة سهلة يمكنه التواصل بها. وقد أردنا حقاً أن يكون ميشا مثله كمثل أي طفلٍ طبيعي ويستطيع التواصل بسرعة وسهولة مع والديه وأخوانه. كما أنني لم أرغب في أن أكون معلمة ميشا أو معالجة نطق له في كل الأوقات – أردت فقط أن أكون أمه.

تعلمنا على الفور أشياءاً قليلة وبدأنا استخدامها في كل الأوقات. وكان الأمر كما لو أن مصباحاً قد اتقد في عقله. وخلال أسبوع، أصبح ميشا، الذي بلغ لتوه عمر سنة واحدة، يعبر بلغة الاشارة عن كلماتٍ مثل ”ضوء“، ”طعام“، و ”شراب“. والتحقنا بدورة دراسية في الـ TAFE حتى نتمكن من الاستمرار في أن نكون قدوة في اللغة من أجله. ولأن ميشا كان أول طفلٌ لنا، اعتقدنا أي أطفالٍ لاحقين لنا سيتعلمون لغة الاشارة بسهولة عندما يروننا نستخدمها في كل الأوقات. كانت عائلتنا داعمة جداً، والتحق ستة من أفراد عائلتنا المباشرين بالدورة الدراسية معنا، فقد كان الأمر ممتعاً ولم تكن هناك فروض مترلية مكتوبة.

وبعد تشخيص مرض ميشا بعام، ذهبنا إلى عيادة لزراعة قوقعة الأذن، بعد أن قمنا بكثير من البحث في حالات ناجحة من [زراعة غرسة قوقعة الأذن]. وعندما أخبرونا بأنهم لا يمكنهم ضمان أي تحسُّن أفضل مما تقوم به السماعات المُعينة على السمع في الحالات الحادة (على الرغم من أن القليل من الأطفال الذين تُزرع لهم قوقعة الأذن يتحسنون أكثر من ذلك)، رأينا أن الأمر لا يستحق المجازفة بزراعة جسم غريب في رأس ميشا. لم يبدو لنا الأمر صحيحاً – وشعرنا أننا عندما نجري لميشا عملية زراعة غرسة القوقعة فكأنما نقول له أنت لست على ما يرام بحالتك هذه“.

وبعد عامين، التحقنا أنا وزوجي بدبلومة جامعية في لغة الاشارة (Auslan) في جامعة لاتروب لتعزيز مهاراتنا وتحسين معرفتنا بالقواعد اللغوية. ميشا لديه أساسٌ جيد في لغة الاشارة Auslan، وبمهاراته الادراكية واللغوية الحالية، فقد أظهر الكثير من الاهتمام في معالجة النطق. وهو الآن كبُر بما فيه الكفاية لتمضية قليلٍ من الوقت في جلسات علاج النطق، والأهم مِن ذلك، فهو يفهم الغرض منها. وبسماعاته المُعينة على السمع الحمراء الناصعة غير التقليدية، يستخدم ميشا لغة الاشارة بلا توقف في البيت، وفي مجموعات اللعب، وفي كل مكان. الناس أحياناً يقتربون مني عندما يروننا نستخدم لغة الاشارة Auslan ويعبرون عن اهتمامهم برؤيتها. وكثيراً ما أخبرهم بقليلٍ من الاشارات ليستخدموها مع ميشا، فيحبون ذلك عندما يجيبهم ميشا أيضاً بلغة الاشارة!“.

© ولاية فكتوريا، 2010
بتفويض من وزارة التعليم وتنمية الطفولة المبكرة

Arabic

كل الفرص، لكل طفل